خصوصية القبة في العمارة الإسلامية

دراسة تحليلية مقارنة لخصائص القبة بين أقاليم العالم الإسلامي

الباحث: عقيل قصي

المشرف: د. فائز البيروتي

ملخص البحث:

يأتي الأهتمام بالعمارة الإسلامية ضمن البحوث المعمارية، كجزء من التوجهات الحديثة التي تتناول بحث ودراسة وتحقيق التواصل مع الموروث المعماري للشعوب. وجاء كرد فعل على التوجهات المعمارية التي ظهرت في القرن الماضي، متمثلة بشكل أساسي بحركة العمارة الحديثة التي انتشرت في معظم بلدان العالم الإسلامي. ولم تستطع تلبية الكثير من متطلبات هذه المجتمعات ثقافياً وأجتماعياً بما يتعلق بموروثها المعماري. كما أن هذا الأهتمام مرتبط برغبة هذه المجتمعات في تحقيق خصوصيتها وأنتمائها لبيئاتها المحلية.

وبسبب ما تميزت به العمارة الإسلامية من تنوع الأساليب. وسعة الانتشار المكاني والزماني، وكذلك طبيعة الدراسات المنجزة حولها. أدى ذلك الى حصول اشكالات في توظيف معالمها من قبل المصممين المعاصرين.

وأغلب المبادئ والنظريات التي فسرت العمارة الإسلامية بموجبها، تمتلك درجة عالية من العموميات لفترات خاصة في العمارة الأسلامية. وبالتالي تكون بحاجة الى أختيار دقيق للشواخص الرئيسية والأنماط والأشكال السائدة لفترة معينة او لفترات مختلفة والعوامل التي يمكن أن تكون قد قادت الى تشكيلها.

وتناولت الدراسات السابقة الموضوع بعدة منهجيات فمنها ما كانت توثيقية (وصفية أو آثارية) أو دراسات أخرى تحليلية أعتمدت منهجيات محددة تتناول خاصية معينة أو عنصر معماري معين أو نوع وظيفي معين، أو بناء خلفية فكرية ذات نظرة شمولية عن موضوع معين وصياغتها صياغة منهجية.

من تلك الخلفية أنطلقت فكرة البحث لتضاف الى هذه السلسلة من البحوث التي تتناول العمارة الإسلامية. وتم أختيار القباب كجزء من التوجه السائد في الأوساط المعمارية للأهتمام بعناصرها المميزة، ولأهمية العنصر كونه يشكل عنصر (معمارياً، إنشائياً) ثنائي الطبيعة، أرتبط بمدلولات رمزية في العمارة الإسلامية، بمختلف أنماطها الوظيفية هذا من جانب وبهدف تكوين قاعدة معلوماتية عن القباب من جانب آخر.

وتبرز المشكلة في قلة الدراسات المتخصصة حول هذا الموضوع، وتبين من خلال الإطلاع على أدبيات هذا الجانب، أنه لا يوجد تحديد شامل وواضح للخصائص التصميمية للقباب وكيفية تباينها وأنتشارها عبر الأقاليم المختلفة (كتقليص لنطاق المشكلة). وبذلك تحدد مشكلة البحث بـ((الحاجة لتصور واضح ودقيق يصف كيفية توزيع وتباين الخصائص التصميمية للقباب عبر الأقاليم المختلفة للعالم الإسلامي)).

بموجب ذلك تحددت الأهداف الرئيسية للبحث وهي:

1. تحديد الخصائص التصميمية للقباب والتي تضمنت خصائص تحليل القبة بصورة منفردة وخصائص علاقة القبة مع المبنى ككل.
2. إستكشاف طبيعة أنتشار تلك الخصائص بين الأقاليم المنتخبة لتحديد مدى تباينها او تشابهها، وخصوصية كل إقليم حسب تلك الخصائص.

وتطلب حل المشكلة البحثية عزل متغيرات للقياس خاصة بكل مستوى لدراسة الخصائص (على مستوى تحليل الجزء، وعلى مستوى علاقة الجزء بالكل).

وقسم البحث الى خمسة فصول لتحقيق ذلك، تضمن الفصل الأول دراسة عنصر القبة في العمارة بصورة عامة، ودراسته في العمارة الإسلامية بصورة خاصة. ونقد الدراسات السابقة يأتي بعدها عزل أهم المحاور التي تناولت الدراسات السابقة من خلالها القباب لتحديد المشاكل المعرفية فيها، لغرض تحديد مشكلة البحث وأهدافه ومنهجه. في حين تضمن الفصل الثاني دراسة خصائص القبة وعزل متغيراتها وطرق القياس المناسبة لكل نوع فيها والتي قسمت الى متغيرات فيزياوية وتركيبية (شكلية وفضائية). وذلك من خلال طرح المفاهيم العامة لدراسة الخصائص التصميمية. أما الفصل الثالث فخصص لتحديد المستلزمات الأساسية للتطبيق وذلك بتحديد التصنيف المعتمد للمقارنة إذ تم عزل ثمانية أقاليم مهمة في العالم الإسلامي تم بموجبها إجراء المقارنة، وكذلك تحديد النوع الوظيفي المعتمد للمقارنة. تأتي بعدها عملية أنتخاب العينات الممثلة للأقاليم وتعريفها، بهدف أجراء الدراسة العملية.

في حين تضمن الفصل الرابع إجراء مراحل حل المشكلة البحثية، وذلك بتحليل وقياس متغيرات الجزء الأول ولثاني من خصائص القباب المتمثلة بالمتغيرات الفيزياوية والتركيبية الخاصة بأجزاء القبة، والمتغيرات التركيبية الخاصة بعلاقة القبة مع المبنى، وضمن محورين معزولين نوقشت في نهاية كل محور وبشكل تفصيلي النتائج الخاصة به.

وأخيراً طرحت الأستنتاجات النهائية والتوصيات ضمن الفصل الخامس، وشملت محورين تعلق الأول بكفاءة الإطار البحثي والمقياس الذي وفرته الدراسة مقارنة بالمعرفة السابقة والمحور الثاني تعلق بالدراسة العملية التي وضحت التباين والتشابه بين الأقاليم الثمانية التي عزلتها الدراسة، تبعاً لطبيعة توزيع الخصائص التصميمية وطريقة أنتشارها بين تلك الأقاليم.